مجمل من ترجمة الرئيس لنكن

ولمحة من شخصيته

كما شاهدناها في تذكارم الرائع في العاصمة الاميركية [1]

سُئل المستر ولز الكاتب الانكليزي الاشهر ان يسمي الرجال الستة الذي يحسبهم اعظم رجال التاريخ فكان لنكن احدهم. قال: ان في لنكن اكثر من اي اميركي آخر تتجسم المزايا وتتجلى الصفات التي تمتاز بها الامة الاميركية على غيرها من الامم. انهُ يمثل المساواة في الفرص التي تتاح في تلك البلاد لابناء الامة جميعهم على السواء. وارتقاؤهُ من كوخ مبني بجذوع الاشجار الى البيت الابيض يؤيد حق كل طفل مهما يكن حقير المولد في الوصول بعزيمته وكفاءته الى ارقى المناصب. ان سذاجتهُ وصبرهُ وتفاؤلهُ الناجم عن اعتقادهِ بسيادة الحق والسلامة النية في افعالهِ وأعمالهِ اعظم ما تستطيع ان تهبهُ اميركا للعمران وهو هبة عظيمة جداً.

نشأة لنكن

كان ابو ابرهيم لنكن — الرئيس السادس عشر من رؤساء الولايات المتحدة الاميركية — اميًّا يعمل آناً بالزراعة وآناً بالنجارة. ومات امهُ وهو في التاسعة من عمره فتزوج ابوهُ ثانية في السنة التالية فكان لزوجة ابيهِ اثر كبير في نفسهِ. لانها كانت تحثهُ على طلب المعارف. وكانت الولاية التي حطَّ فيها ابوهُ عصا الترحال لا تزال قليلة السكان قليلة المدارس ضئيلة وسائل العمران فنشأ فيها نشأة تكاد تكون بدوية. فكان ينام في خيمة من اغصان الاشجار او كوخ من جذوعها وكان يحرث الارض او يقطع الاشجار ويسير في ركاب ابيهِ الذي كان قليل الثبت في مكان كثير التنقل والارتحال. ولما بلغ الحادية

(١) اتخذت وزارة المعارف السورية في مصر باختيارها لدراسة في المدارس الثانوية الرواية التمثيلية التي وضعها الاديب الانكليزي المعاصر جون درنكوتر لتصوير خلق الرئيس لنكن واعظم اعماله. لان في سيرة هذا الرجل يتمثل كثير من الصفات العالية التي تحتاج اليها في تربيتنا السياسية والقومية. فقدمنا هذا الفصل توطئة لدرسها

والعشرين من العمر لم يكن يعرف شيئاً اكثر من قواعد القراءة والكتابة البسيطة. ولكنهُ كان قد طالع الكتاب المقدس. وكتاب سياحة المسيحي . وحكايات ايسوب . ورواية روبنصن كروزو . وسيرة وشنطن وترجمة فرنكلن بقلمهِ

يؤخذ من ذلك انهُ نشأ عصاميًّا لم يعتمد على علم حصلهُ او مال ورثهُ او جاهٍ يفاخر بهِ . وزاول التجارة حيناً تعلق في اثنائها على المطالعة والدرس . وسافر في صباه في مهمة الى مدينة نيواورليانس اكبر مدن الولايات الجنوبية فشاهد مساوىء الرق عن كثب فقال عبارتهُ المأثورة : اذا اتيح لي ان اضرب الرق كانت ضربتي قاضية

ثم انشأ يدرس القانون باشارة احد اصدقائهِ فدخل معترك السياسة وجعل يتقلب في المجالس التشريعية في عاصمة ولايتهِ ثم في الكنغرس بوشنطن يوم لهُ ويوم عليهِ ولكنهُ اشتهر فيهِ بولائهِ لحزبهِ واستقلالهِ في الرأي وباقتراحهِ الغاء الرق في مقاطعة كولومبيا حيث عاصمة الولايات المتحدة . ولكن اقتراحهُ لم ينظر فيهِ لضعف مكانتهِ في مجلس الامة حينئذٍ . وعُرض عليهِ بُعيْد ذلك ان يكون حاكماً لولاية اوريغون وهي من الولايات الغربية القليلة السكان فعارضت زوجتهُ في ذلك وحملتهُ على الرفض

وظل يمارس المحاماة بعد ذلك مدة خمس سنوات فجمع شيئاً من الثروة وظهر على الاقران في المرافعة امام المحكمين لانهُ كان ذا نظر ثاقب في ادراك اصول كل قضية وبصر دقيق على المبدإ الذي وصفهُ بقولهِ: اذا استطعت ان اجرّد هذه القضية من كل ملابساتها المعقدة وابسطها امام المحكمين جلية واضحة فقد ربحتها . وكان امينًا في تأدية عملهِ الى حدّ التعسب . قيل انهُ علم مرة ان احد موكليهِ خدعهُ فتنازل عن القضية في اثناء المرافعة وغادر دار المحكمة

واذ هو خالص معترك الحياة اليومية دعاهُ صوت السياسة الى الميدان فلباهُ . وكان اشتغالهُ في المحاماة قد صقل فيهِ ملكتي الخطابة والمحاورة فلما ظهر خصمهُ ستيفن دوغلس ظهيراً لحق كل ولاية بتقرير شرائعها فيما يتعلق برق الزنوج وتحريرهم حُثَّ لنكن للردّ عليهِ . ففعل ذلك في خطبة من اشهر خطبهِ اخلاصاً وبلاغة وقوة عارضة .. فدهش الناس اذ شاهدوا هذه القوة وهذا الاخلاص يترددان في كلام هذا الرجل الريّف ويطلان من احداقهِ ! وذاع اسمهُ في طول البلاد وعرضها ورأت فيهِ الولايات الشرقية التي كانت لا تعرفهُ مرشحاً للرآسة . فتحركت بذلك مطامعهُ السياسية فرشح نفسهُ لمجلس الشيوخ اولاً فقبلهُ الجمهوريون مرشحاً عنهم ولكن ثبت في آخر لحظة ان عدد مؤيديهِ منهم لم يكن كافياً لانتخابهِ فتحولوا باشارتهِ الى تأييد احد الديمقراطيين المتشيعين على الحزب الديمقراطي المعارض

لسياسة دوغلس فيما يتعلق بالرق ففاز بتأييدهم في الانتخاب

وتلا ذلك نزاع سياسي بين لنكن ودوغلس دام بضع سنوات انتهى بالمناظرات المشهورة التي وقعت بينهما سنة ١٨٥٨ لما رشح كلاهما لمجلس الشيوخ . فلما قبل لنكن ان يرشح عن الحزب الجمهوري لمجلس الشيوخ خطب خطبة افتتحها بقوله المشهور : « ان بيتاً منقسماً على نفسه لا يثبت وانا اعتقد ان هذه الحكومة لا تستطيع ان تدوم نصفها عبدٌ ونصفها حرٌّ »

على هذا القول بنى محاوراته مع دوغلس . ففاز هذا بالانتخاب ولكن لنكن خرج منها وهو زعيمٌ لحزبه بعدما حمل دوغلس بتوجيه الاسئلة البارعة اليه على الوقوف موقفاً ضيقٌ الحزب الديمقراطي عليه الى شقين وهذا مكن لنكن من الفوز في الانتخاب الرآسة

***

لما عزم الزعماء الاميركيون ان يثوروا على انكلترا في الثلث الاخير من القرن الثامن عشر بحثوا عن اقدس الحقوق الانسانية ورفعوا علمهم عليها . ففي « بيان الاستقلال » الذي اذاعوهُ صرّحوا ان الحرية حق من حقوق البشر الاساسية . وان قوة الحكومة مستمدة من قبول المحكومين . فسوغوا بذلك ثورتهم على الانكليز . فلما دان لهم النصر لسوا هذه المبادىء النبيلة وكبلوا فريقاً من البشر بالاغلال . كان الجشع والانانية رائد الحزبين السياسيين الكبيرين — حزب الهوج وحزب الديمقراطيين — كلاهما كان يؤيد الرق ويحميه . وظلت الحال كذلك نحواً من ثلاثة ارباع القرن

اخيراً افل حزب الهوج . وقام على انقاضه حزب الجمهوريين . وكان هذا الحزب الجديد معارضاً لنشر الرق في غير الولايات التي كان منتشراً فيها . اما اعضاء الحزب الديمقراطي في الجنوب فكانوا يرمون الى تعميم الرق في كل البلاد واعضاؤه في الشمال كانوا يرومون ان يترك لكل ولاية حق تقرير شرائعها فيما يتعلق بذلك

اما لنكن فكان يمقت الرق ويحسبهُ من اعظم الشرور . ولكنهُ كان يرى ان يسير السعي لابادته سيراً دستوريًّا . وقد بسط الحالة في رواية دونكواثر بهذه الكلمات مخاطباً بعض مندوبي الجنوب

« كثيرون من الناس في هذه البلاد يرغبون في ابادة الرق . وكثيرون لا يرغبون . لا اتعرض هنا لمساوىء الرق ولا لحسناته . ولكن كل انسان سواء كان يرغب في منعه او لا يرغب ، يعلم ان منعهُ قد تمَّ . فماذا تريد الولايات الجنوبية ان تنشقَّ ؟ لانها تعلم ان منع الرق قد تمَّ وهي تريد ان تجتنب ذلك بل انها تطلب اكثر من ذلك . انها تطلب ان تنشر الرق . كلنا ملومون . . . . ولكننا نحن مستعدون ان نصلح طرائقنا . . . وانتم لا تريدون . وهكذا تنشقون لتنسوا شرائعكم . ولكنكم لم تكونوا مستعدين للمقاومة . . . . . .

وقال لخاطبيه لما عرضوا عليه ان يكون مرشح الجمهوريين للرآسة :

اذا أصرّ الجنوب على نشر الرق وطلب الاعتراف بحقه في الانشقاق . . . وكان الحكم في يدي . عن ذلك مقاومةً لا ترددُ . وعماً اذا اقتضى الامر . . . »

هذا كان الموقف قبل الانتخاب للرآسة سنة ١٨٦٠

وكان الفوز حليف لنكن في الانتخابات فجاهر في خطبة الرآسة بان الوحدة الاميركية لا تحلُّ وان كلَّ عمل غايتهُ فصم عراها باطل وصرَّح بعزم حكومته على الدفاع عن حقوقها وسلطتها ولو بالقوة . ونفى القول بأنهُ ينوي مهاجمة الولايات الجنوبية والتحكم بها . قال في ختام تلك الخطبة : « اكاد احجم عن اختتام الخطاب . نحن لسنا اعداء بل اصدقاء . بل يجب ان لا نكون اعداء . فاذا كان الاندفاع قد وتّر الروابط بيننا فيجب ان لا يقطعها . ان حبال الذاكرة الخفية ، الممتدة من كل ميدان حربي وكل مدفن وطني الى كل قلب حي وكل موقد في طول هذه البلاد وعرضها ، لابدَّ ان تقوّي جوقة الملايين بالوحدة متى لمستها من طبائعنا ملائكة الخير » . ثم حاول ان يحافظ على الوحدة من غير ان يلجأ الى القتال فلم يقابلهُ زعماء الجنوب بالمثل وألفوا الجمهورية وانتخبوا لها رئيساً فثارت الحرب الاهلية التي دامت نحو اربع سنوات وكان الفوز فيها للشمال اي لحزبه . واقترح الكنغرس سنة ١٨٦٥ التعديل الثالث عشر للدستور الاميركي الاساسي بمقتضاه كثيرة من جانب الرئيس وهذا التعديل يقضي بتحرير العبيد . وأعيد انتخاب لنكن سنة ١٨٦٤ وألقى خطاب الرآسة الثاني الذي ختمهُ بقوله : « نحن لا نضمر ضغينة ولا حقداً لاحد . ولكن بصلابة في الحق كما نراهُ بارشاد الله ، لنسع في اكمال العمل الذي بدأناهُ . لنضمد جروح هذه الامة . لنعن بمن خاض غمار المعارك او بأرملته او يتيمه . لنعمل كل ما يمهد لنا عقد سلم دائم بيننا ومع كل الامم » . ولكن احد المتهوسين اغتالهُ في ١٤ ابريل سنة ١٨٦٥ وهو في احد مسارح وشنطن فمات صباح اليوم التالي

* * *

من غرائب الاقدار ان تهيء الطبيعة الاسباب لولادة ولدين في يوم واحد يكون لهما اثر خالد مماثل في دائرتين مختلفتين من دوائر العمران . ففي ١٢ فبراير ١٨٠٩ ولد طفلان — الاول في حراج ولاية كنتكي تحيط به مصاعب الفاقة وشظف العيش والمشاق التي يتعرض لها الروّاد . وولد الآخر في انكلترا في مهد من الثروة والثقافة . تلقى احدهما علومهُ في جامعة الطبيعة والآخر في جامعة كمبردج

اسم الاول منهما مقرون بتحرير الملايين من البشر المسترقين المكبلين ، وبالمحافظة

على وحدة امة عظيمة من أن تعبث بها يد التفرقة والانحلال . هذا هو لنكن

واسم الثاني مقرون بتكسير السلاسل العقلية التي تقيدنا بها الخرافات والاوهام ويرفع مشعلاً من النور في عالم العقل — هذا هو تشارلس داروين . لقد صدق من قال أن اجل ما يعمله الانسان انما هو تحطيم السلاسل التي يتقيَّد بها البشر وتبديد اوهام النفوس

تمثال لنكن

ترى البناء مترباً كالليث فوق أكمة يشرف من الجهة الواحدة على نهر البوتوماك وهو الحد الفاصل بين الشمال والجنوب اللذين قضى لنكن في سبيل المحافظة على وحدتهما. ويطل من الجهة المقابلة على بناء الكابتول وقد ارتفعت قبتهُ الفخمة فوق مباني العاصمة رامزة الى الوحدة التي فداها بدمه . وتلمح خطوطهُ الرخامية المنسجمة من مدافن ارلنتون حيث تثوي رفات الابطال الذين قتلوا في الحرب الاهلية لا فرق بين قتلى الشمال وقتلى الجنوب فتمثل استحكام روابط المودة والاخاء بين الفريقين

وهو من اضخم المباني الاميركية وأبدعها فنًّا واتقاناً شكلهُ مربع مستطيل مبنيٌّ برخام ناصع البياض. في خارجه رواق معمَّد طولهُ ١٨٨ قدماً وعرضهُ ١١٨ قدماً فيه ٣٦ عموداً مضلَّعاً على النسق الدوري علو كلٍّ منها ٤٤ قدماً وقطرهُ عند قاعدته ٧ أقدام وخمس بوصات وهذه الاعمدة ترمز الى الولايات الست والثلاثين التي كانت الولايات المتحدة تتألف منها في ايام لنكن. وفوقها ثمان واربعون لوحاً من الرخام تفصل بينها اكاليل منقوشة وقد حفر في كل منها اسم ولاية من الولايات الثاني والاربعين التي يتألف منها الاتحاد الاميركي الآن. تنظر من الداخل خلال الاعمدة الى جهة الكابتول فتلقى مرجاً اخضر تتوسطهُ بركة ماء مربعة مستطيلة كأنها مرآة صافية الاديم وتعبر عند طرفها الثاني نصب وشنطون وهو بناء منطاد في شكل مسلَّة مبنية من قطع الرخام علوها ٥٥٥ قدماً . فكأنَّ بناة هذين الاثرين ارادوا ان يجمعوا في حيِّز واحد ذكرى الرجل الذي اوجد الوحدة الاميركية وذكرى الرجل الذي حفظها من أن تعبث بها يد التفرقة والانحلال

قال هنري باكون المهندس المتفنن الذي وضع رسوم هذا التذكار « مذ علمت بالنية على اقامة تذكار للنكن شعرت بانهُ يجب ان يشتمل على امور اربعة . اولاً تمثال لهُ. وثانياً تذكار لخطبته في جتسبرج[1] . وثالثاً تذكار لخطبة رآسته الثانية . ورابعاً رمز لوحدة

(١) جتسبرج ميدان من ميادين الحرب الاهلية الاميركية دارت فيه معركة دامية انتصرت فيها جنود الشمال . وبعد انقضاء ستة اشهر على تلك المعركة ألقيت فيها خطابة تذكارية ارتجل فيها لنكن خطبة موجزة تعد آية في البلاغة ونبل الساطة وهي المقصودة هنا

الامة الاميركية التي حارب ومات في سبيل حفظها سليمة »

فالوحدة تجدها ممثلة في الاعمدة الستة والثلاثين والالواح الثانية والاربعين التي فوقها كما تقدم . اما الامور الثلاثة الباقية فتجدها ممثلة في الغرفة الوسطى والغرفتين الى جانبيها

طول الغرفة الوسطى ٧٠ قدماً وعرضها ٦٠ قدماً وعلوها ٦٠ قدماً وقد اقيم في صدرها تمثال كبير الحجم للرئيس لنكن من صنع المستر دانيال تشستر فرنش وجههُ متجهٌ الى المدخل وعيناهُ شاخصتان الى الكابتول . اما ملامح الوجه وتقاطيع الجسم في هذا التمثال فهي ملامح لنكن الاصلي وتقاطيعهُ — لنكن الطويل القامة، الحنطي الظهر، ذو وجهٍ خدّتهُ عواصف الحياة واعباؤها ولكن معاني الحنو والكآبة تفيض من قسماته وتظلُّ من احداقه . تنظر اليه فترى فيه لنكن خطيب جتسبرج يفوهُ بكلام كلهُ دعة وبلاغة وبل عاطفاً على الذين قضوا في ذلك الميدان متعهداً للاجيال القادمة بالنيابة عن ابناء امته الاحياء ان الذين قضوا هناك لم يكن موتهم عبثاً وان امةً انجبتهم ليموتوا تلك الميتة الشريفة لن تبيد من الارض . هذا لنكن الذي خاض حرباً وراء غايةٍ عمرانية شريفة وعدَّتهُ فيها قوة الايمان والثقة بفوز الحق وشدة الرغبة في ابادة شرٍّ عمرانيٍّ ورسوخ العزم على متابعة النضال وبعد التضحيات في وجوب المحافظة على الوحدة الاميركية . انت ترى في نظرته ما يدلُّك على انهُ شاعر بقوة الحق الذي يؤيدهُ وعلى الايمان بان الله سيمنحهُ القوة لاحقاقه . وقد نقش على الجدار وراء التمثال هذه العبارة « ان ذكرى ابرهيم لنكن مقدسة في هذا الهيكل كما هي مقدسة في قلوب هذه الامة التي حفظ لها وحدتها » .

وعلى جانبي الغرفة الوسطى صفان من الاعمدة على الطراز الايوني علوّ كلٍّ منها ٥٠ قدماً ووراء الصفين غرفتان صغيرتان نقش على جدار احداهما خطبة لنكن في جتسبرج وعلى جدار الاخرى خطبة رآسه الثانية

« فذة خطبة جتسبرج صورة رمزية مستمدة من تصوير جول جيران . فالصورة الوسطى تمثل حرية وملاك يحق بيها للعبد فتفك القيود التي قيدت بها ايديهم وارجلهم . والصورة التي الى الشمال تمثل فتاة حاملة سيف العدل وفي حضنها لفة ترمز الى القانون ويسند هذه الفتاة من اليمين ومن اليسار شخصان رافعان في ايديهما مصباح العقل وتحت ارجلهما آلهة تقسر القانون . اما الصورة التي الى اليمين فتمثل الخلود : ترى في وسطها فتاة تتوَّج بتاج الخلود وحولها الايمان والرجاء والمحبة وعلى جانبيها آنية ملاى بالزيت والخمر رمزاً الى الحياة الابدية

وفوق خطبة الرآسة الثانية في الغرفة المقابلة صورة مثلثة تمثل الوحدة والاخوة

والحبة وهي لحيران ايضاً . ترى في الصورة الوسطى ملاك الحق يضمُّ يدين رمزاً الى اتحاد الولايات الشمالية والولايات الجنوبية بعد الحرب الاهلية ويظلُّ بجناحيه رموزاً للفنون التي تزهو في السلم وهي التصوير والحفر والبناء والموسيقى والآداب والفلسفة والكيمياء . ووراء رمز الموسيقى شبح يمثل المستقبل . والى اليسار صورة تمثل الاخوة في شكل عائلة مؤلفة من اب وام وولد وقد مسك احدهم يد الآخر وقربهم اثمار الارض وتاجها . والى اليمين رمز للصحة في شكل فتاة توزع ماء الحياة على المشوهين والعمي وتعتني باليتامى والفقراء

وسقف البناء من الرخام بعد ان عولج بالشمع حتى كاد يصير شفافاً كالالابستر فينفذ منهُ قليل من النور الملطف ويقع على التمثال والصور التي على الجدران فيراها الناظر في بديع انسجامها آية من الآيات

يدري في صنع هذا التذكار سنة ١٩١١ ولم يتم بناؤه الا سنة ١٩٢١ وقد انفق عليه نحو سبعمائة الف جنيه . وتسلمتهُ الحكومة الاميركية في ٣ مايو سنة ١٩٢٢ سلمهُ المستر تافت الرئيس السابق للمستر هاردنغ الرئيس حينئذٍ . وهاك فقرة مما قاله الرئيس هاردنغ في خطبته:

« لقد كان عمله (اي عمل لنكن) كبيراً جداً حتى لايختلف اثنان في انهُ كان اعظم رؤسائنا . تسلم مقاليد الحكم لما كان اعداء الجمهورية كثيرين في الخارج وفي الداخل يهددون وحدتها وسلامتها فانتخب بعض مستشاريه من خصومه السياسيين وأوقظ مافيهم من شعور وطني متعامياً عن دسائسهم . وتسلط عليهم بتفوق عقله ورجاحة فكره وسمو اخلاقه وقوة عزمه وجعلهم يعاونونهُ في اتمام العمل العظيم الذي تصدى له . وكان في كل ذلك مثالاً للطف والدعة . ترى على جبهته حزناً والماً يبان على غايته الآلمية وقوة عزمه على تحقيقها »

***

اذا فاخرت الهند بتاجها واليونان باكروبليسها والشرق الادنى بمساجده ومختلف البلدان الاوربية بكنائسها وكاتدرائياتها الفخمة فلا شك ان اميركا تحق لها المفاخرة بهذا التذكار لان البساطة الفنية التي تبدو في نظامه الرائع وسمو المبادىء والذكريات التي يثيرها في نفوس الزائرين تجعله على حد ما قالهُ شوقي في الاهرام

(لهُ) كالمعابد روعة قدسيةٌ (وعليه) روحانية العبّاد

ان روحانية اميركا كما تظهر فيما يبديه الشعب الاميركي من العطف على كل مشروع خيري وعمراني مفيد وكما يستشفُّها الباحث في بساطة تقاليدها وسمو مبادئها الديمقراطية تراها مجسمة في حياة لنكن مرفرفة فوق تذكاره المهيب

فؤاد صروف